Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالنتاج الأدبى لدى العـرب - ومثلهم اليونان - كان صورة البيـئة بحدودها اللغوية والفكرية، وتياراتها النفسية والاجـتماعية. وبالتالى كان الأديب - بحق - هو ابن بيئـته وعصـره. وحين تشكل البيـئة (زمانيـة أو مكانية) مـرجعيـة رافدة، يستوحيها الأديب أو الكاتب فيما تجود بـه قريحته، فإن الأقرب إلى المعقول حينئذ أن يكون مفـهوم التلقى قائما على أسـاس المناهج التى تهتم بحيـاة صاحب النص ومدى عـلاقتها بـأدبه. ولعل الوقوف على روافد المد الأدبى لدى أديب أو شـاعر يستروح أنفاس البيئة والعـصر يعين المتلقى - ناقدا أو قارئا - على كشف غوامض النص، وفهم أسراره، فهـو - فى نظرى - أكثر المناهج تساوقا مع طبـيعة النماذج الأدبية القـديمة. وقد ظل هذا المنهج يسود الحـركة النقدية فى التـعامل مع النص، حتى فى الفترات التى تراجعت فيها الكلاسيكية أمام النزعات الرومانسية فى العصر الحـديث. فلما تداخلت ثقـافات الـشعـوب وتلاقحت آدابهـا بتأثيـر الصراعـات والتيارات العالمية ظهرت فلسفات ونظريات نقدية وأدبية جديدة؛ لتعلن الحرب على الأصول والمناهج القديمة مـن ناحية، وتميل بروادها إلى القناعة بما يسـمى «إنسانية الأدب» أو «عالميته» من ناحية أخرى.

وهى دعوى خادعـة، كانت إفرازا واضحا لخـلاصة المذاهب الفكرية، التى لاصلة لها بالأدب، وبمقتضاها يكون الأديب أو الكاتب إنسانيا أو عالميا فى أدبه إذا انفصل عن حتميـات البيئة ومسلماتها. وربما كانت الماسـونية أسبق فى الدعوة إلى النزعـة الإنسانية بـهذا المفهـوم، وكانت أكـثر توقـحا فى الإعـلان عنها بالعـبارة المشهورة: «اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك».

فلكى تكون ماسونى المذهب أو إنسانياً فى أدبك فـاخلع عقيدتك، والفارق بينهمـا - كما يقـول أحد المفكرين[1]- هو فى وقاحـة التعبير الماسـونى، والبريق الخادع فى المصطلح الأدبى. فربما استهوى ببـريقه الكثيرين من ذوى التطلع المبهور إلى الفكر الغربى، وربما استمال إليه نفرا ممن تعاملوا مع كلمة «الإنسانية» بمفهومها الأخلاقى.

---

(١) الأستاذ محمد قطب فى كتابه «مذاهب فكرية معاصرة» ص ٥٩٠ دار الشروق.